● سيرة شهيد

حسين منصور.. بطل عملية القدس الاستشهادية

الوفاق / وكالات - أعلن حزب الله في بيان له أنه يوم الثلاثاء الواقع في الواحد والثلاثين من شهر تشرين أول / اكتوبر لعام ٢٠٢٣م، تم اكتشاف كمين لقوة صهيونية متموضعة على تلة الخزان في محيط موقع العاصي، فقامت مجموعة الشهيد الاستشهادي حسين منصور باستهدافها بالصواريخ الموجهة ما أدى الى تحقيق اصابات مباشرة فيها وسقوط جميع أفرادها بين قتيل وجريح. وقد أثار خبر هذه العملية الهجومية فضول الكثيرين من مناصري المقاومة، حول هوية الاستشهادي منصور، الذي لم يرد ذكره في عداد الاستشهاديين خلال كل السنوات الماضية. إلّا أنه على ما يبدو كان للمقاومة اعتبارات معيّنة منعتها من ذكر ذلك في السنوات الماضية، وربما كانت تنتظر ظروفاً ملائمة لكي تعلن عن ظروف استشهاد الشهيد منصور، التي جاءت في عملية "القدس" الاستشهادية المشتركة بين حزب الله وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، والتي نُفّذت في بلدة بليدا جنوب لبنان عام ١٩٩١ خلال فترة الاحتلال، والتي ارتقى فيها أيضاً الشهيدان الاستشهاديان أشرف الشيخ خليل وأحمد أبو ناصيف.

عملية القدس الاستشهادية

في الأوّل من تموز لعام ١٩٩١، وبعد رصدٍ ومتابعة، تسللت مجموعةٌ مؤلفة من ثلاثة مجاهدين إثنان منهُما من عديد حركة الجهاد الإسلامي ومجاهدٌ من عديد المقاومة الإسلاميّة إلى عمق المنطقة المحتلّة نحو بلدة بليدا المحاذية للحدود مع فلسطين المحتلة لتنفيذ كمينٍ إستشهادي ضد موكب صهيوني ضمّ نائب قائد القطاع الغربي في قوات الإحتلال المدعو "بيدوكس"، وعند وصول الموكب فتح المجاهدون الثلاثة النّار على الموكب وخاضوا قتالًا ملحميًا قبل أن يُستشهدوا بعد أن قتلوا كل أفراده ما دفع العدو لاستدعاء تعزيزات. الاخوة أكملوا الاشتباك معهم وفق ما أكّدت مصادر المقاومة الإسلاميّة آنذاك والتي أطلقت على العملية اسم عمليّة القدس الشريف.

وصرّح الإعلام الصهيوني آنذاك بأن ٣ من "المناهضين لإسرائيل" قُتلوا في اشتباك مسلّح مع وحدة اسرائيلية في منطقة القطاع الأوسط، حيث كانت المجموعة قد تحصنت داخل إحدى المنازل، ومجهزين ببنادق هجومية ورشّاش خفيف وقذائف مضادة للدبابات. وبعد حصول العملية، حضر قائد المنطقة الشمالية "اسحاق مردخاي" إلى المكان. يُشار بأن جثامين الشهداء قد أسرها جيش الاحتلال أيضاً، لكن المقاومة الإسلامية استطاعت تحرير جثمان الشهيد منصور في عملية التبادل التي حصلت عام ١٩٩٨، وقد دُفن في الضاحية الجنوبية لبيروت في روضة الشهيدين – الغبيري.

وصيته لإخوانه المجاهدين

إن لكل زمان حسيناً ولكل زمان يزيد وحسين زماننا الإمام الخميني (قدس) ونائبه السيد علي الخامنئي (حفظه الله) ويزيد زماننا أمريكا وأذنابها وعملاؤها. أوصيكم إخواني أن لا تخذلوا حسين عصركم ولا تستوحشوا طريق الهدى لقلة سالكيه ولتكن ولاية الفقيه مسلكنا ولنفهمها جيداً لأن السير في هذا الطريق وحده المنجي والطرق الأخرى هي طرق ضلال.

التعليم.. سلاح الفلسطيني للبقاء والحفاظ على الهوية

الوفاق /وكالات - بالعلم يتحدى الفلسطينيون أكاذيب الاحتلال، ويتصدون لسياسة التجهيل التي اتبعها منذ أن وطأت قدماه أرض فلسطين، بالرغم من كل المحاولات التي اتبعها وما زال يتبعها الاحتلال من عرقلة العملية التعليمية ووضع الحواجز وفصل الطلاب عن مدارسهم بفعل الجدار بالضفة الغربية، وقصف المدارس وتدميرها كما هو حال قطاع غزة، وأسرلتها في القدس وحرمان فلسطينيو ٤٨ منها بالداخل، إلا أن الفلسطيني ورغم كل تلك الظروف متمسك بعملية التعليم لأنه على يقين بأنها السبيل الوحيد لنيل حريته.

تُسلط هذه المقالة في اليوم العربي لمحو الأمية على النكبة الفلسطينية المستمرّة حتّى هذا اليوم، والتي وضعت الشعب الفلسطيني أمام المعادلة التالية: ضياع الوطن يستوجب التزوّد بسلاح العلم، باعتباره الوسيلة الوحيدة المتاحة للبقاء. لذا، كان من البديهي أن تحتلّ فلسطين المرتبة الأولى على مستوى العالم العربي فيما يتعلّق بالمتعلّمين نسبة إلى أعداد أفراد الشعب.

معدلات الالتحاق بالتعليم الأعلى عالمياً

يُعتبر التعليم من أهم جوانب حياة الفلسطينيين نتيجة الظروف التي يعيشها شعب على أرضه المحتلة أو في الشتات، فمعدلات الالتحاق بمؤسسات التعليم في فلسطين تعتبر من الأعلى بالمقاييس الإقليمية والدولية.

ويعكس ذلك بوضوح أهمية التعليم بالنسبة للفلسطينيين، فبسبب لجوء الفلسطينيين بعد حربي عام ١٩٤٨ و١٩٦٧ ونزوحهم عن أراضيهم وفقدانهم للكثير من أملاكهم، أصبح التعليم حاجة ماسة بسبب فقدان مصادر الرزق الأخرى المتمثلة بالزراعة والتجارة والصناعة لدى شريحة عريضة من الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة والضفة الغربية وقطاع غزة. وأصبحت العائلة الفلسطينية مستعدة لبذل الكثير من أجل تأمين تكاليف تدريس أبنائها في المدارس والجامعات، وهي في المقابل تعتمد على مساعدة هؤلاء الأبناء المادية المنتظمة حين حصولهم على وظائف، في الخارج على الأغلب.

وبذلك فمن الطبيعي أن يعمل الطلاب الفلسطينيون وذووهم المستحيل من أجل الحصول على قبول في إحدى الجامعات المحلية، فان لم يتيسر ذلك ففي جامعة عربية، وان عجزوا عن ذلك فلن يترددوا بتحمل نفقات التعليم في الجامعات الأوروبية. لا بل وصل الطلاب الفلسطينيون إلى جامعات آسيوية من بنغلادش مرورا بالهند حتى فيتنام. ونتيجةً لهذا، حقق الفلسطينيون على مدار ستين عام أعلى نسبة من المتعلمين في العالم العربي، والتي تُعتبر في ذات الوقت من أعلى النسب في العالم.

وقد أظهرت المؤشرات أن فلسطين تعتبر من أقل المعدلات أمية في العالم، إذ بلغت ٢,٢٪ بين الأفراد ١٥ سنة فأكثر. وأشار جهاز الإحصاء، وهو جهة رسمية فلسطينية، في بيان صحافي بمناسبة اليوم العالمي لمحو الأمية، إلى أن معدل الأمية بين الأفراد الفلسطينيين ١٥ سنة فأكثر في أراضي عام ١٩٤٨، بلغ ٣,٦٪. ووفق النتائج الجديدة، فقد أظهرت وجود انخفاض في معدل الأمية في فلسطين بنسبة ٨٤٪ في العقدين الماضيين، إذ انخفض معدل الأمية بين الفلسطينيين ١٥ سنة فأكثر من ١٣,٩٪ عام ١٩٩٧ إلى ٢,٢٪ في عام ٢٠٢٢. إذن فالتحديات التي يفرضها الاحتلال شكلت دافع قوي للفلسطينيين من أجل التصدي له، ولا تتم مواجهتها الا بتطوير ومواكبة العلم عبر بناء مؤسسات تعليمية كفيلة بتخريج أفواج علمية تواكب هذا التطور، وتعزز من ثقافة المجتمع، وإيلاء المناهج التعليمية واساليب التدريس في المدارس اهمية اكبر في تحسين كفاءتها.

أهم أداة في معركة البقاء

كان التعليم دائماً مصدراً للأمل وللتحول للشعب الفلسطيني. بعد العام ١٩٤٨ عندما نزح أغلب الفلسطينيين وأُجبروا في النكبة على ترك ديارهم قام الطلبة والمدرسون بلعب دور حاسم في إعادة بناء المجتمع الفلسطيني. ساهمت المدارس والجامعات والمعاهد غير الرسمية في فلسطين، وفي المنفى، في إدامة الحياة الوطنية الفلسطينية لشعب ممزق جغرافياً، وفي ذات الوقت، كانت توفر المهارات للتطور والنمو الشخصي.

لقد وعى الفلسطيني أن التعليم هو الذي سيجعله يسترجع كرامته ضد العدو الصهيوني، لذا توجه إليه دون تردد، فقد اعتبر الشعب الفلسطيني بأن العِلم كان الوسيلة الوحيدة التي تضمن للفلسطينيين العيش بكرامة، لذلك جاهدت كل عائلة فلسطينية من أجل أن ينجح على الأقل واحد من أبنائها كي ينتشلها من ذات اليد ومن فاقة الفقر.

وهكذا بعد خسارة الأرض، شكل التعليم بالنسبة للفلسطينيين مرتكزاً أساسياً وأداة هامة في معركة الصمود والبقاء التي خاضوها وما زالوا أمام عدو أراد لهم أن يكونوا جاهلين، بعد أن اعتمد التجهيل كسياسة رسمية ترجمت بتدمير جهاز التعليم الفلسطيني ومؤسساته في النكبة وإلحاق ما تبقى منه بجهاز التعليم الإسرائيلي الرسمي كشعبة ثانوية يشرف عليها "الشاباك" في إطار ما عرف بسياسة الضبط والسيطرة.

التعليم في إطار مواجهة الرواية الصهيونية بالحقائق العلمية والتاريخية

يتجسد الصراع المذكور في مجال التعليم عبر سعي الصهيونية لفرض الرواية الصهيونية العامة حول فلسطين عامة بأنها " أرض إسرائيل " التي تعود تاريخياً إلى "شعب اسرائيل " الذي يدعى أنه نفي منها قبل ثلاثة آلاف عام، فيما استمر في الحفاظ على نقائه العرقي في "الشتات" طيلة هذه السنوات، ويتضمن منهاج "مدنيات إسرائيل" الذي يتم تعليمه في مدارس القدس الشرقية التابعة للبلدية ووزارة المعارف الإسرائيلية هذه الأساطير . اعتمد الكيان الصهيوني آليات ووسائل لفرض نظامه التعليمي وأرائه تشمل القوة الفظة كالاعتقالات وهدم مدارس، والقوة الناعمة الإغراءات المالية وفي فتح مجالات العمل، وخصخصة التعليم، علماً أن آليات القوة الناعمة لم تؤثر سوى على عدد محدود نظراً لسطوة الاحتلال وانتشار عمليات الاستيطان الاستعماري واعتداءات المستعمرين وعمليات هدم البيوت وسحب الهويات في كل أنحاء المدينة.

حاولت سلطات الاحتلال الصهيوني بكافة الوسائل خلق تعليم صهيوني شامل في القدس الشرقية عبر الاستفادة من سلسلة مركبة من الأدوات تشمل مؤسسات التعليم الرسمي من مدارس وجامعات وكليات، وغير الرسمي وذلك عبر النشاطات اللاصفية، ونشاطات المراكز الثقافية والفنية التابعة للاحتلال.

في المقابل يعمل التعليم الفلسطيني لتعزيز الحقيقة الفلسطينية والعربية عبر المدارس والجامعات الفلسطينية سيّما جامعة القدس عبر برامجها التعليمية وكذلك مراكزها المنتشرة في كافة أنحاء المدينة، وكذلك عبر الفضاء الإلكتروني، ومنظمات المجتمع المدني، والعائلة، ومجالس أولياء الأمور في المدارس الذين يلعبون دوراً هاماً في هذا المجال بمن فيهم لجان أولياء الأمور في المدارس التابعة للاحتلال . كما ويلعب المجتمع الفلسطيني في بقية أجزائه دوراً في تعزيز التعليم العربي الفلسطيني عبر علاقات المعارف والأصحاب، والنشاطات المجتمعية، كما أن هناك البرامج التعليمية للوكالات العربية والإسلامية والفلسطينية التي تعمل في مدينة القدس المحتلة، وفوق كل ذلك تتعلم الأجيال المقدسية عبر الهبات والاحتجاجات ضد سياسات الاستيطان الساعي للسيطرة على مواقع القدس والمسجد الأقصى المبارك، وأدت هذه المكونات كلها إلى نشوء تعليم فلسطيني مقاوم يحافظ على الهوية الفلسطينية العربية الإسلامية والصمود وتثبيت الوجود ما حال دون تنفيذ برامج الاحتلال في أسرلة التعليم في القدس. وأسهم هذا التعليم في تعزيز الاستقلالية الوطنية والقومية عن الاحتلال، ويبني مداميكها من أسفل عبر الحفاظ على مجتمع فلسطيني منيع غير قابل للاختراق وذلك رغم كونه خاضعاً للاحتلال .

ختاماً يجب ألا يغيب عن الأذهان أن ارتفاع نسبة المتعلّمين بين أبناء الشعب الفلسطيني لا تكفي لدعم المشروع النضالي المقاوم، إذ إن العامل الحاسم فيما يتعلّق بجدليّة التعليم والثورة، هو مخرجات العمليّة التعليميّ وجودة التعليم وليس عدد المتعلّمين فحسب، وهي ما تستوجب النضال من أجلها.

الفلسطيني يعي أن التعليم هو الذي سيجعله يسترجع كرامته ضد العدو الصهيوني، لذا توجه إليه دون تردد، وما زال الفلسطيني رغم الماسي يضع علمه أمام عينيه في مقاومة الاحتلال الصهيوني، فالتعليم الأداة الأقوى التي من خلالها يبرز تفوقه في تعزيز صموده أمام الاحتلال، وبحقه بالوجود والحياة في وطنه

● كتب تاريخية

كتاب «كي لا ننسى».. قصة ٤١٨ قرية فلسطينية دمرها الكيان الصهيوني

الوفاق / وكالات

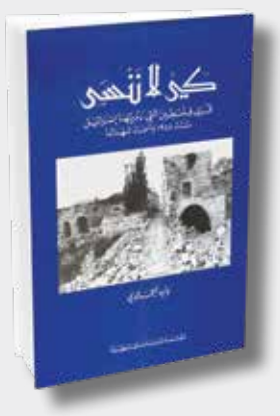

في الخامس عشر من أيار/ مايو من كل عام، تمر ذكرى النكبة الفلسطينية التي اعتاد الفلسطينيون إحياؤها عبر وسائل مختلفة، لتسلط الضوء على حقيقة ما جرى في حرب عام ١٩٤٨، التي انتهت باحتلال العصابات الصهيونية للأراضي الفلسطينية وتهجير سكانها.

تأخذ عملية إحياء ذكرى النكبة اليوم أبعادًا أكثر أهمية لاعتبارات عديدة، أهمها أنها تأتي بعد موجة تطبيع عربية غير مسبوقة، إذ لم تقتصر على تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني فقط، بل تجاوزت ذلك إلى تبنّي روايته الرسمية حول ما جرى في فلسطين سنة ١٩٤٨، وصولًا إلى اللحظة الراهنة، وذلك مقابل إنكار رواية الشعب الفلسطيني وشيطنة قضيته.

الضوء هنا على مؤلّف فارق في نشر حقيقة ما تعرض له الفلسطينيون خلال عام ١٩٤٨ على يد العصابات الصهيونية. نتحدث عن كتاب "كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها "إسرائيل" سنة ١٩٤٨ وأسماء شهدائها"، الذي صدر باللغة الإنجليزية عام ١٩٩٢، ثم صدرت طبعته العربية عام ١٩٩٧، عشية الذكرى الخمسين للنكبة، عن "مؤسسة الدراسات الفلسطينية"، تحرير المؤرخ الفلسطيني وليد الخالدي.

"كي لا ننسى" مؤلّف كبير ينطوي على جهد توثيقي وبحثي ضخم، ساهمت في إنجازه ثلاث مؤسسات بحثية وأكاديمية فلسطينية، هي "مؤسسة الدراسات الفلسطينية" و"مركز الجليل للأبحاث" و"جامعة بيرزيت". ناهيك عن أكثر من ٣٠ باحثًا عربيًا وأجنبيًا تتضمن أبحاثهم الموزعة على ٨٤٦ صفحة، وصفًا تفصيليًا دقيقًا، ومدعومًا بمجموعة ضخمة من الصور والملاحق والخرائط التوضيحية، لـ ٨١٤ قرية فلسطينية دمرتها العصابات الصهيونية وهجرت سكانها خلال حرب ١٩٤٨.

يُعتبر الكتاب مرجعًا شاملًا وفريدًا من نوعه في مجاله. فبالإضافة إلى رصده وتوثيقه لأسماء القرى الفلسطينية المدمرة، ووقوفه على خلفيات سقوطها بيد العصابات الصهيونية، وظروف تدميرها وتهجير سكانها؛ يقدّم الكتاب أيضًا بيانات إحصائية مهمة تفند أعداد سكانها ومنازلها، وتسلط الضوء على طبيعتها الديموغرافية عشية النكبة.

ويتضمن المؤلّف تفاصيل وسرديات وافية تحيط بأوضاع هذه القرى، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية، قبل حرب ١٩٤٨. وهي تفاصيل تستند إلى مراجع عربية وأجنبية موثوقة، ودراسات ميدانية وتحليلية أجراها باحثون على مدار أكثر من ٥ سنوات. كما ويتتبع الكتاب أيضًا مصير هذه القرى وما آلت إليه أحوالها بعد النكبة وقيام دولة الكيان الصهيوني، فيستعرض أوضاعها الراهنة بعد أن تقاسمها المهاجرون اليهود، وأقاموا على أراضيها مستوطناتهم ومنشآتهم الاستعمارية، ناهيك عن رصده لأسماء أكثر من ٩٠٠ شهيد فلسطيني سقط دفاعًا عنها في حرب ١٩٤٨.